

العاطفة موضوعاً سيميائياً قراءة في خطابات

النبي الأعظم محمد ﷺ

Emotion as Semiotic
(Reading on the letters of the Prophet)

أ.م.د. هادي شندوخ حميد
Asst.Prof.Dr. Hadi Shandukh Hameed

العاطفة موضوعاً سيميائياً قراءة في خطابات

النبي الأعظم محمد ﷺ

Emotion as Semiotic
(Reading on the letters of the Prophet)

أ.م.د. هادي شندوخ حميد
جامعة ذي قار / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

Asst. Prof.Dr. Hadi Shandouk Hamid,
Department of Arabic Language, Faculty of
Arts, Dhi Qar University, Iraq

.....
تاريخ التسليم / ٢٤ / ٣ / ٢٠١٩

تاريخ القبول / ٥ / ٥ / ٢٠١٩

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث

بلا شك ان خطاب النبي محمد ﷺ يمثل مركزية ثرية حاملة لتجربة من انساق وأنظمة ومعارف تحيل الى دلالات متنوعة في بنى تعبيرية مختلفة تؤسس لنمط من الوعي والبلاغية المقصودة في تكوين سيرورة قابلة للتطبيق في مجال التفكير الواقعي، كون ذلك التمثل ينطلق من ذات مليئة بالأحاسيس والمشاعر وتعي إنسانية الانسان وعواطفه وما يستشعره من حالات تمثلها ثنائيات الوجود في عمليتي التوالد والتحقق، فهو الموصوف ساويا بانه: ((وانك لعلی خُلِقَ عظیم)) [القلم: ٤] وقيل فيه في المأثور: ((لقد كان خلقه القرآن))^(١) ومن تلك الرؤيتين تتوالد منطقة العاطفة في خطابه دون الابتعاد عن الاجراء السلوكي في افعاله وحركاته ﷺ. ولعل انفتاح خطابه ﷺ بوصفه بنية رمزية مفتوحة على الممكنات الوجودية أتاح لان يمثل معلماً بارزاً في تكثيف البعد العلاماتي لديه ﷺ فتبلور حقيقة المعاني والمفاهيم وتنتج حقائق منطق الفهم للوجود في بعدها الوجداني المشترك، فتحويل الأشياء الى علامات يعني في كل احواله اعلاء قيمة الموجودات كدوال لها أهميتها ترتبط بسياقاتها لتحقق في النهاية غاياتها القصدية الخطابية بوساطة تلك البنى العلاماتية التعبيرية المفتوحة.

وفي الحقيقة ان هذا الادراك هو تقنين لضبط العلاقة بين الكلمات والاشياء بما تشي به الثقافة والمجتمع في نسق المألوف والاعتیاد، لذلك يلحظ ان استراتيجية النبي ﷺ في توصيف تلك الاواصر كعلامات عاطفية لم تخرج عن المهيمنات المقبولة عقلياً وديناً عند التلقي الجمعي بشكل تتكامل به تلك المفاهيم لامتيح القبول والواقعي منها في عملية التشكيل، كل ذلك تمثل في استنطاق مدخل يقوم على بيان السيميائية المنظور والاتجاهات، ومن ناحية أخرى قراءة العاطفة بين التحليلين السيميائي والنفسي ومن ثم مركزية العاطفة في خطابه ﷺ وصولاً الى محور البحث المتمثل في رؤيتين الأولى التحديدات الصيغية للعاطفة في خطابه ﷺ، والثانية التحديدات التوتيرية (العوارض) أي المتغيرات العاطفية الملائمة في انتاج الحدث وتناميهِ صعوداً ونزولاً وفقاً لارتباطها بسياقات الحدث ومقاماته، الى الانتهاء بخاتمة البحث ونتائجه ومصادره.

Abstract

Undoubtedly, the speech of the Prophet Muhammad (PBUH) represents a rich central focus of experience of patterns, systems and knowledge and refers to different meanings in various expression structures to establish a pattern of perception pragmatics. Such intends to form a process applicable to the field of realistic thinking. As described in the Glorious Quran: (And you are on an exalted standard of character) [Pen: [ξ It was said in the adage: (His entire ethics is the Quran). Thus, it is from these visions that the area of emotion is traceable in these. Perhaps the opening of his speech as a symbolic structure to the existential possibilities allows him to represent a milestone in intensifying the dimension of these signs.

So the truth crystallizes meanings and concepts and produces the facts of the logic to understand the existence in its common emotional dimensions. To render certain issues into signs means, in all cases, to grant value to these issues as important trench marks pertinent to their contexts to achieve, at the end, the purposes of the rhetorical intention via these open expressive structures. In fact, such perception comes as austerity of the nexus between words and issues in conformity with the culture of the society, familiarity and conventionality. It is noted that the strategy of the Prophet to describe these bonds as emotional signs does not derail from the mental, religious and accepted axioms when perceiving collectively such signs. Then the concepts of acceptance and realism are integrated into the process of formation. In the aggregate, all these signs give entry to semiotics, apparent, with certain destinations on the one hand, and reading the emotion, by psychological and semiotic analysis, centrality of the emotion in the discourse of the prophet, the changes of the emotional structure in his discourse and the tense challenges, the locus of the study, that is to say, hindrances, the change of emotion according to the trajectory of the event, high and low, the context and its situation on the other hand. Finally there are conclusion, results and works sited.

مدخل الى التصورات

أولاً: السيميائية المنظور والاتجاهات:

في الحقيقة ان المقرب الاستمولوجي في فحص السيميائية تاريخياً ومنهجياً يفضي الى القول بانها احد المسالك المعرفية التي فطن اليها قديماً في وصفها علامة دالة على الأشياء او بانها علم يحيل الى ممارسات قصدية في حقول محددة، اما الاجترار الاصطلاحي لها فهي: " علم يدرس العلامة ومنظوماتها.. كما يدرس الخصائص التي تمتاز بها علاقة العلامة بمدلولاتها. " (٢) ارتبط بوصفها منهجاً يتعاطى مع الموجودات على يد دي سوسير فقد وظفها مع المناهج الأخرى لقراءة الدوال اللغوية وغير اللغوية وفق تقنيات واليات محددة دون قطيعة مع الفنون والمعارف الأخرى كالمسرح والسينما والفلسفة وغير ذلك. الى حد الاشتغال في منطقة من الخلاف بين الدارسين في كونها اما للسانيات ام فرعاً منها؟

تهدف السيميائية في الممارسات الإجرائية عند روادها الى النظر بشكل علمي الى اللغة بتصوراتها المختلفة في كونها رموزاً دالة لها دلالاتها وحقائقها في الوجود دون ان تكون كلمات مجردة فحسب ، وتلك الفلسفة نابعة من تصورات علمية انبثقت من المناهج التجريبية ونظرتها الى اللغة بوصفها رموزاً لاغير . محطاتها النهائية دراسة الأنظمة الاشارية بوصفها علامات للتواصل في المحيط الثقافي العام . بعيداً عن القصدية بين الدال والمدلول فمفردات اللغة تقوم على الاعتبارية في حقل الاستعمال السياقي والدلالي والتداولي كما هو معروف في مباديء دي سوسير. اما بيرس فيرى ان العلامة أي السيمياء :

" مكونة من :أولا: الصورة ويقابلها الدال عند دي سوسير. وثانيا : مفسرة ويقابلها المدلول عند دي سوسير. وثالثا: الموضوع وليس له مقابل عند دي سوسير وهي ثلاثة أنواع هي :العلامة النوعية التي لا يمكنها أن تتصرف حتى تتجسد ،والعلامة العرفية وهي المتواضع عليها ،والعلامة المتفردة وهي الشيء الموجود فعلا أو الواقعة الفعلية " (٣). وبذلك يمثل بيرس منحى اخر في تصوراته الى العلامة عند النظر الى الدوال والمدلولات والموضوعات في التشكل العلاماتي للموصوف من الأشياء .

ثانياً : العاطفة بين تحليلين (السيميائي والنفسي) :

إذا كانت العاطفة كمفهوم تمثل حالة من الملازمة للانفعالات فإنها تعني: " كل التغيرات التي تجعل الناس يغيرون آراءهم فيما يتعلق بأحكامهم وتكون مصحوبة باللذة والالم" (٤) " كما يقول أرسطو ، إذ ترتبط ببنية منتجة لحدث يقود إلى اتصاف المشاعر بالانبثاق أو الضمور في حركة الإنسان الحياتية من وقت لآخر. ولم تقف عنده فقد شغلت حيزاً كبيراً في النزعة التفكيرية عند المنظرين الغربيين لعلم النفس وصولاً إلى إرساء بنية من التجاور في الاشتغال على هذا الموضوع في حقل السيميائيات على يدي بترينكو ومايكل كولو في مجمل أبحاثها عن الأحاسيس والمشاعر في بني التفكير الفردي ، وصولاً إلى غريباس وسعيه في تطوير السيميائية السردية بقراءة قيمة الحدث والذات المنتجة للتصورات الإنسانية في رؤية تؤسس لملامح الإدراك العاطفي ، يقول أحد الباحثين : " لقد تم إدخال البعد العاطفي تدريجياً وبحذر في الدراسات السيميائية فالعواطف والأحاسيس تتميز بارتباطها بالذات، لذلك تستدعي دراستها الاهتمام بعلماء النفس، وهذا ما يؤدي بها أحياناً إلى الخروج عن مجالها، غير أن الرهان بالنسبة للسيميائيات تمثل في بناء دلالة لهذا البعد العاطفي في الخطابات، إذ لا تؤخذ العاطفة من جانب تأثيرها في الذات الحقيقية (الجانب النفسي)، بل من جانب كونها تنتج معاني مشفرة ومسجلة في الخطابات، وهي بهذا تساهم في إنتاج تمثيلات ثقافية مختلفة تُثري الخيال العاطفي، فيقوم بنشئين بعض العواطف دون الأخرى " (٥) وبذلك فإن مساحة التداخل والاختلاف يحددهما العلمان عند الاشتغال في تلك المنطقة من (التوتر والفرح والانفعال وغيرها من تجليات العاطفة) ماتعيه السيميائية وتؤشره هو الرصيد الدلالي المعبأ من وراء ذلك الحدث الانفعالي في مظهره الخطابي وتجليه سمة بادية لقراءته فحسباً وتأويلاً. إذ "

تتجلى الالهواء في الخطاب حاملة لاثار معنوية بالغة الخصوصية " (٦) وتلك الالهواء لا تكون في حالة ثبات بل يحكمها التغير والتبدل ارتباطا بحدث الإنتاج وقيمه .

ثالثاً : مركزية العاطفة لدى النبي ﷺ :

لعل البعد العاطفي المتمثل في شخص النبي ﷺ يمثل مركزية حاضرة في سلوكياته ﷺ و أقواله ، فالفضاء الذي انفتح من مجمل ممارساته وخطابه يتجل ببعده الإنساني المستشعر لقيمة الموجودات بشرية او غيرها ، وهو ما دونته المنظومة التراثية بحقوقها المختلفة حين تقف عند مرتكزات تلك الشخصية وعظمتها ، يقول سيد قطب " كان قلب رسول الله ﷺ وهكذا كانت حياته مع الناس . ما غضب لنفسه قط . ولا ضاق صدره بضعفهم البشري . ولا احتجز لنفسه شيئاً من أعراض هذه الحياة بل أعطاهم كل ما ملكت يده في سماحة ندية . ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم . وما من واحد منهم عاشه أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه نتيجة لما أفاض عليه ﷺ من نفسه الكبيرة الرحبية . وكان هذا كله رحمة من الله به وبأمتة " (٧) وهذا ما أسسه لحركة تحتوي المغاير من السلوك آنذاك في النفوس والنظام والسلوكيات لان صناعة النموذج سواء اكان : (نظاماً ، ذواتٍ ، معنى ، ممارسة) في كل اشكاله هو الية لتشكيل واقع قابل للتأثير في فروضه وإجراءاته ، يقول احد الباحثين : " ان العالم _ الوجود _ الكون _ الطبيعة _ الاشياء " يأخذ حدوده وابعاده أي معناه تبعاً للنموذج الذي ينظر اليه من خلاله " (٨) وتلك الصناعة لم تغب عن ذاكرة النبي ﷺ وفعله الاجرائي في التأسيس لتلك الثقافة فهو المؤسس لتلك المنظومة الفاعلة في سياقاتها المختلفة ، وفي المنحى العاطفي يمكن ان يلحظ ان ذلك التشكل العلاماتي تجسد في بعدين :

المحور الاول:

التحديدات الصيغة و مايسمى بـ (المكونات) على راي فونتاني * (٩) ويمثل حقل الدوال اللفظية بما انطوى عليه من تمثلات تستوعب (الحب، والمدح، والذم، والتأدب، والفخر، والوعيد، والشوق، والعتاب، والكبرياء) ومثال ذلك قوله:
 وَالرَّاحِمُونَ يَرْحَمُونَ الرَّحْمَنَ، اَرْحَمُوا مِنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكَ مِنْ فِي السَّمَاءِ " (١٠)
 فالمتعمن في النص لا يخطئ في ادراك التصور الموسوم عن نموذج "الراحم" وهو علامة عاطفية لا تمثل نسقا محدودا بالزمان والمكان بل هو وصف ممتد يتجرد عن الذات الأحادية ليشمل مجمل النوع الممدوح بتلك السمة المؤشرة وهي الرحمة، التي تختزل بعدا شعوريا يستجيب لمنظومة من السجايا العالية المؤطرة لقيمة الانسان الفاعل في تلك الحياة، فالرحمة هي: " اسم موضوع في اللغة العربية لرقعة الخاطر وانعطافه نحو حيي بحيث تحمل من اتصف بها على الرفق بالمرحوم والإحسان إليه ودفع الضر عنه وإعانتته على المشاق. فهي من الكيفيات النفسانية لأنها انفعال، ولتلك الكيفية اندفاع يحمل صاحبها على أفعال وجودية بقدر استطاعته وعلى قدر قوة انفعاله، فأصل الرحمة من مَقُولَة الانفعال وآثارها من مقولة الفعل، فإذا وصف موصوف بالرحمة كان معناه حصول الانفعال المذكور في نفسه، وإذا أخبر عنه بأنه رحم غيره فهو على معنى صدر عنه أثر من آثار الرحمة، " (١١) استعملت في خطابه عليه السلام لاثارة المنحى النفسي في التلاطف بين العباد حين تشد نوازع الكراهية وتغيب سمة المحبة في التواصل والتواد، مقرونة بالتذكير الجزائي لمن تلبس بذلك السلوك وهو ادراك الرحمة الإلهية في يوم الحساب، عامدا عليه السلام في كل ذلك الى تحقيق هذا الملحظ بالتمثلات اللفظية الاشتقاقية المتكررة خمس مرات (الراحمون، يرحمهم، الرحمن، ارحموا، يرحمكم) سعيا في ترسيخ ذلك النموذج في الصبغة الإنسانية.

وفي إحساس ناتج عن بعد انفعالي يروم تقويم السلوك البشري في فعله المنحرف يؤسس النبي ﷺ إلى مثال من القيم النموذجية في التأطير العام يقول: ﷺ: ((لا يدخل في الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر))^(١٢) والكبر: " خلق في النفس وهو الاسترواح والركون إلى اعتقاد المرء نفسه فوق التكبر عليه، فإن الكبر يستدعي متكبراً عليه ومتكبراً به وبذلك ينفصل الكبر عن العجب فإن العجب لا يستدعي غير المعجب ولا يكفي أن يستعظم المرء نفسه ليكون متكبراً فإنه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مماثلاً لها فلا يتكبر عليه، ولا يكفي أن يستحقر غيره فإنه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره، فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل خلق الكبر وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في نفسه اعتداد وعزة وفرح وركون إلى ما اعتقد، وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون إلى تلك العقيدة هو خلق الكبر " ^(١٣) فبتلك المتواليات العاطفية يؤشر إلى فعل مذموم وهو الكبر حينما يكون راسخاً في القلب يؤل في النهاية إلى بعد اخروي يتمثل في سوء العاقبة حيث الحرمان من الرحمة الإلهية المتمثلة بالجنة، وهو قمة التعالق بين الذات والموضوع فالموصوفة هي الذات والموضوع هو الكبر في ترابط أفضى إلى توتر عند الذات المرسلات المتمثلة بالنبي ﷺ في اجتناب تلك الثيمة من الحدث وكما يرى غرياس فان " الذات باعتبارها موجوداً لا يمكن من الناحية الكيفية أن تتأثر إلا من خلال توسط استثمار الموضوع " ^(١٤) وهو ما استثماره النبي ﷺ في تفعيل كيفية تلافي الموضوع (الكبر) من الذات الفاعلة بالوعيد والتنبيه .

ويتمثل الأساس الاستهوائي في بعده العاطفي حيناً آخر في خطاب النبي ﷺ عند انتاج مفاهيم مناقضة للسائد من القيم ، اذ ينشطر خطابه ﷺ على ثنائيات تستجيب لها النفس في بعدها المستظرف والمقبول، يقول ﷺ: " خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي " ^(١٥) ويقول ﷺ: " استوصوا بالنساء خيراً " ^(١٦) ويقول: ﷺ " إن من أعظم الأمور أجراً النفقة على الأهل " ^(١٧) فالقبح الكامن في النقيض المضاد لصورة المرأة في المخيال الاجتماعي حينئذ اذ " كانت المرأة إذا تزوجت ومات زوجها جاء وليه فألقى عليها ثوبه . ومعنى هذا أن يمنعها من الناس فلا يتزوجها أحد فإن أعجبته تزوجها ، لا عبرة برغبتها هي ولا إرادتها! وإن لم تعجبه حبسها حتى تموت فيرثها . أو أن تفتدي نفسها منه بهال في هذه الحالة أو تلك . وكان بعضهم يطلق المرأة ويشترط عليها ألا تنكح إلا من أراد . إلا أن تفتدي نفسها منه بما كان أعطاها . وكان بعضهم إذا مات الرجل حبسوا زوجته على الصبي فيهم حتى يكبر فيأخذها . وكان الرجل تكون اليتيمة في حجره يلي أمرها ، فيحبسها عن الزواج ، رجاء أن تموت امرأته فيتزوجها! أو يزوجه من ابنه الصغير طمعاً في مالها أو جمالها فهذه كانت نظرة الجاهلية إلى المرأة على كل حال . حتى جاء الإسلام . يشنع بهذه العادات ويقبحها . وينهى عن الوأد ويغلظ فعلته . ويجعلها موضوعاً من موضوعات الحساب يوم القيامة . " ^(١٨) قد افرز معادلاً موضوعياً لنموذج مغاير يوسم بالأفضلية ويعلو الى مرتبة من التحفيز حين يكون الممثل لتلك الصفة الكريمة هو القمة في الهرم أي النبي محمد ﷺ . ومن ثم فان البعد العاطفي في المعنى المنتج من اللفظ (الاهل) كما هو وارد في النص يمثل إحالة الى ترغيب ذلك السلوك والمغايرة في النظر الى ما هو مألوف بعيداً عن قدسيته .

وتارة تستعمل مجموعة من المتضادات تعبيراً عن لومه وعتابه ومدحه وتشجيعه في آن لغياب وحضور تلك الصفات في المجتمع الإسلامي وقد جاء لينهاهم عن ممارسة تلك السلوكيات المرفوضة، ويدفعهم الى احتذاء المدوح منها، يقول: ((إِنَّ الرَّفَقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ))^(١٩) ويقول ﷺ: " دَعُ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ؛ فَإِنَّ الصَّدَقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكُذْبَ رِيْبَةٌ " ^(٢٠) فالتقابل بين (لا يكون في شيء / ولا ينزع من شيء) و (زانه و / شانته) وفي النص الآخر: (الصدق / الكذب) يؤشر الى متواليه من القيم ذات الحجج الإيجابية والسلبية التي تعترض الانسان في حياته، يتطلع منها النبي ﷺ بفعل علاماتي يمثله طرفان هما الترغيب والتنفير في سلوك تلك المعطيات ذات العلاقة بالمنحى التكاملي للإنسان في مسيرته تحقيقاً للتوازن في النظام الإلهي المرسوم للبشر.

وتبدو ملامح التواصل والمحبة واضحة في الالفاظ، اذ استعمل ﷺ (السلام (التحية) والزيارة (العودة) والحضور (التشيع) في قوله: ﷺ: " من حق المسلم على المسلم إذا لقيه أن يسلم عليه، وإذا مرض أن يعوده، وإذا مات أن يشيع جنازته " ^(٢١) فسيمياء التواصل في تلك الحالات تمتد لترسيخ علاقة قلبية بين الافراد عند تطبيق تلك المفاصل في الحياة وهي إشارات لتحويل تلك الابعاد الى سلوك لا يعدو ان يكون علامة فحسب بل الى ثقافة تستشعر وتدرک وتستدعى عند حدوثها.

ومثل ذلك قوله ﷺ: " ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)) " ^(٢٢) فصفة الايمان للفرد حملت بعداً سيميائياً هو نوع اخر من التمثل لحقيقة الايمان حيث حب الاخرين كحب الانسان لنفسه مرآة للإيمان الحقيقي، وطبيعة الحال ان لفظ (الحب) المتكررة هنا هي إحالة الى علامة اجتماعية أيضاً وان

كان المضمون دينيا، فالإيثار نسق اجتماعي يعبر عن صورة من التماسك والتراحم في بنية التكوين الاجتماعي وهو المغزى البعيد لتلك العلامة.

وتفتح العلامة السيميائية على الدلالة الاجتماعية أحيانا في خطابه ﷺ في بناء الصورة الممدوحة والمدمومة دينيا واجتماعيا حين تتجلى مثولا لحقيقة الفرد يقول ﷺ: " ((إِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صَدِيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا)) " (٢٣) فالتجاور بين بنيتي (الصدق والكذب) يعطي قيمتين متناقضتين اجتماعيا ودينيا فالصدق مرآة عاكسة للعواطف التي تبوح بمشاعر الخير لأنه يهدي الى البر ويستدعي المدح في عين الله (عز وجل) والناس فيكون صديقا ، والكذب على النقيض من ذلك فهو علامة قارة تعكس دلالة الميل الى الخطايا والانحراف وسوء العاقبة في النظام الكوني دينيا واخرويا .

وللعلامة فاعليتها في تصوير الدلالة : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَوْ كَانَ الْحَيَاءُ رَجُلًا لَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا ، وَلَوْ كَانَ الْفُحْشُ رَجُلًا لَكَانَ رَجُلًا سَوًّا " (٢٤) ف (الحياء والفحش) اشارتان سيميائيتان يستظهران الممدوح والمذموم في بعض الصفات بشكل يبرز القيمة الجمالية والأخلاقية للحياء وعلى النقيض في ابراز قيمة الفحش من خلال ذلك التحول المجازي في التعبير واضفاء التشخيص عليها ليكونا اكثر ايجاء في البيان والدلالة والمعنى، فالدلالة السيميائية للحياء تعبير عن قيمة تلك الصفة بما تعنيه حتى تكون صفة للرجل الصالح وكذلك الفحش فانه في دلالاته السيميائية تمثيل لحقيقة الرجل السيء.

وللون أهميته فانه يمثل حالة من الترميز الموضوعي العاطفي المكتنز بالدلالة المفتوحة على انساق مختلفة ، دون ان ينحصر في اطار اللفظ وحدوده من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : " البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم " ^(٢٥) فاللون الأبيض المختار هنا في حالتي اللبس والتكفين ما هو الا إشارة نفسية تمتاح من ابحاثه سيمياء النقاء والطهارة والصفاء والسكينة والسلام والاطمئنان فهو محور مفتوح على كل تلك الدلالات فضلا عن دلالته على التواضع وعدم الكبر والخيلاء والعجب ، قال الراغب : " والأبيض: عرق سمي به لكونه أبيض، ولما كان البياض أفضل لون عندهم كما قيل: البياض أفضل، والسواد أهول، والحمرة أجمل، والصفرة أشكل، عبر به عن الفضل والكرم بالبياض، حتى قيل لمن لم يتدنس بمعاب: هو أبيض اللون. وقوله تعالى: {يوم تبيض وجوه} [آل عمران/ ١٠٦]، فايضاض الوجوه عبارة عن المسرة، واسودادها عن الغم، وعلى ذلك {وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً} [النحل/ ٥٨]، وعلى نحو الايبضاض قوله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة} [القيامة/ ٢٢]، وقوله: {وجوه يومئذ مسفرة} *** ضاحكة مستبشرة} [عبس/ ٣٨ - ٣٩] " ^(٢٦) له انعكاساته النفسية حين اختلط بحياة الانسان مظهرها ورحيلا باجرائية تتناسب دلاليا مع العمق الوجداني للإنسان فيما يستسيغه او ينبو عنه .

المحور الثاني:

التّحديدات التّوتيرية او ما تسمى بالعوارض (أي ما يعترض العاطفة من توترات عاطفية بدرجاتها المختلفة) ^(٢٧) وهي محور لحالات العاطفة المتغيرة بحكم الحدث الواقع وقيمتة شدة وخفة عاجلا ام اجلا وغير ذلك ، وهو محكوم بلا شك بفاعل الزمن وظروفه ووقائعه ، ولا يخفى ان ذلك مثل مؤشراً راهناً في زمن النبي محمد ﷺ حين اصبح المناخ الاجتماعي والسياسي والديني محطة لتغيير المواقف والحالات تأييدا او رفضا سرا كان او علنا مع النبي ﷺ ينخزل كل ذلك قوله ﷺ : " : يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله (عز وجل)، أو أهلك فيه ، ما تركته " ^(٢٨) فهذا الرفض هو تعبير عن مجمل الاحداث التي ارادت ان تثنيه ﷺ في مشروعه الرسالي ، وهو ما نتج عنه بما سمي بالتحديدات التوتيرية التي هي بلا شك نابعة من موقف واحد في النظر الى الامور وان تغير الزمان والمكان دون الحدث ، لان العاطفة (شديدة كانت او هابطة مؤلمة او متوسطة) لها علاقة بالحدث ومن ثم التعبير عنه، من ذلك قوله ﷺ : " وعن جابر الأنصاري (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبض فيه لفاطمة (عليها السلام) بأبي وأمي أنت أرسلني الى بعلك فادعيه لي فقالت : فاطمة للحسين (عليها السلام) : انطلق الى أبيك فقل : يدعوك جدّي ، قال : فانطلق اليه الحسين ﷺ فدعاه فأقبل أمير المؤمنين ﷺ حتى دخل على رسول الله ﷺ وفاطمة (عليها السلام) عنده وهي تقول : واكرباه لكربك يا أبتاه ، فقال لها رسول الله ﷺ لا كرب على أبيك بعد اليوم يا فاطمة ، إن النبي ﷺ لا يشقّ عليه الحبيب ، ولا يجمش عليه الوجه ولا يدعى عليه بالويل ولكن قولي كما قال أبوك على إبراهيم : تدمع العينان وقد وجع القلب ولا نقول : ما يسخط الربّ وإنا

بك يا إبراهيم لمحزونون " (٢٩) اذ يمكن تمثيل ذلك المسلك الخطابي بمراحل ثلاث تقود الى انتاج ذلك التوتر العاطفي المرحلة الأولى تؤشر الى التركيب العاطفي في بنية النص فمحور الحديث يتعلق بالحزن والفقد والبكاء بين المخاطبين والثانية مرحلة الاستعداد وهي تبادل الحديث في محور الموضوع وهو الحزن والمرحلة الثالثة عملية التحسيس وفيها تولد الشوق والحزن على المفقود كما هو باد في قوله ﷺ في مقطعه الأخير.

وفي نص اخر يتمثل العارض العاطفي بمنحى تتداخل فيه مشاعر ((ومن أعظم مواقف العفو الجماعي موقفه - صلى الله عليه وسلم - مع أهل مكة، بعدما أخرجوه منها وآذوه أشد الإيذاء، ونصره الله عليهم، وأعزه بفتحها، قام فيهم قائلاً: (ما ترون أي فاعل بكم ؟، قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال: أقول كما قال أخي يوسف: { قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } (يوسف:٩٢) ، اذهبوا فأنتم الطلقاء) (٣٠) (البيهقي).)) وهنا يتمظهر السلوك العاطفي في مراتب (العفو والتسامح والشجاعة) في مسار يستظهر نمطين من الذوات والصفات وماتج عنهما في تلك المتوالية ذات الحدث الفاعل في انبثاق العاطفة المترشحة بالعفو والتسامح ، ولعل تلك القمة الشعورية تمثل تصعيداً في عاطفة التعاطي مع الحدث ، بدءاً بالتذكير بالممارسة النبوية يوسف ﷺ وانتهاء باطلاق العفو عندهم في تلك الحالة من المقدرة على محاسبتهم . وهو سلوك ممنهج خلق النموذج لاثبات ان المعارضة لا تكون بالرد والافحام أحيانا بل قد تؤول الى القدرة في التسامح وغض الأنظار.

وقال : ﷺ حين كان: " يوصي عليه السلام جنده وقد أرسلهم للقتال بقوله: ((تألفوا الناس، وتأنوا بهم، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم؛ فما على الأرض من أهل مدر أو وبر أن تأتوني بهم مسلمين أحب إلي من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم)).^(٣١) فالنبي ﷺ يصنع فلسفة عند حدث القتال برؤية تتعد عن الانتقام والثأر والتشفي الى معادل آخر قوامه الالفة والرفق والتسامح لان تلك الملامح تمثل الصدارة في الرسالة الإلهية القائمة على المحبة، وان كان المحدد له زمانه الا انه أسلوب حياة يصنع عاطفة تتلبس وعيا عند تكرار مثل هذا الحدث في واقع المسلمين. فضلا عن ذلك فان هذا النسق العاطفي يؤسس الى بنية من الاهواء المتصالحة والمنسجمة الى حد ما بسبب تلافي وقوع المازوم من الاحتراب والقتل وغيره. دون ان تختلق في السلوك الفردي بل تتمفصل في ملامح من صناعة الوعي المجتمعي عند وقوع القتال والحرب.

ويستحضر خطاب النبي ﷺ شحنة عاطفية أخرى لا تمثل تحولا في الإجرائية بمقدار ما هو نسيج قار تدفق من الموقف وتحلي في تحديدات توترية (عوارض) ناسبها سياق الموقف فتمثلت بذلك الالتياح والحزن يقول: ﷺ: " صبرا يا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة " ^(٣٢) فالمروي انه كانت قريش تعذبهم في الرمضاء ليرجعوا عن دينهم، ومر النبي صلى الله عليه وسلم بهم وهم يعذبون، فقال: " اصبروا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة " .معبرا ﷺ تعبيرا واضحا عن لحظة الوجد التي لم تندمل الا بالتاسي بالصبر فالأحاسيس والرغبات لا تواجه رد تعسف السلطة آنذاك الا بايكال الامر الى المولى سبحانه معتمدا في كل ذلك على الصبر.

ويلحظ في نوع اخر من خطاب النبي ﷺ ملمحا عاطفيا يؤكد نبرة التحسر بما يغفل عنه الانسان في حياته مؤكدا تلازمة في الترابط تكشف عن العلاقة بين هوية

المؤمن وغير المؤمن من خلال استرسال الشعور الداخلي للنفس الانسانية، يقول:
 ﷺ: كفى بالندم توبة، وقال: من سرته حسنة وساءته سيئة فهو مؤمن، فمن لم
 يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة، والله تعالى يقول: { مَا
 لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ } (غافر/ ١٨) (٣٣) (فالندم، والسرور، والإساءة)
 هي علامات سيميائية تقوم على تجسيد لغة الجسد فتتمو بشكل يدل على تنام وتصاعد
 تلك الحالات العاطفية سرورا او حزنا عند مراجعة النفس وما تعمله .

وفي منطلق اخر يتولد مفتاح إجرائي يتوالد به النص لبيان العلامات المثقلة
 بالإيحاءات والدلالات حين يتوجه النص بكل عاطفته الى شخص يراد منه التعبير
 عن خاصة سيميائية عاطفية هي (الصدق) مثلت موقفا لم يكن له من الحضور في
 تاريخ السابقين من الموصوفين، وهو بلاشك استدراار يقوم على اثاره المتلقي بتلك
 العلامة التي تمثل جمالية في التوظيف وبعدا في الممارسة الثقافية لقيمة الموصوف،
 على اعتبار ان السيميائية: " تهتم بجميع مظاهر الفعل الإنساني فهي أداة لقراءة كل
 مظاهر السلوك الإنساني بدءا من الانفعالات البسيطة ومرورا بالطقوس الاجتماعية
 وانتهاء بالانساق الأيديولوجية الكبرى " (٣٤) يقول النبي ﷺ: ((ما أظلت الخضراء
 ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر)) (٣٥) مريدا ان صفته الصدق فما
 أظلت " الخضراء " أي: الساء " ولا أقلت أي: حملت ورفعت " الغبراء " أي:
 الأرض " أصدق من أبي ذر مبالغة في صدقه، للتدليل على صورة في النهاية تتمركز
 في سيمياء العاطفة بين الذات والموضوع، فالإشارة اللغوية الصادرة من النبي ﷺ
 بتلك العلامة السيميائية للألفاظ لها مجاها في انفتاح المعنى لتوليد المدح والمبالغة في
 الذات الموصوفة (ابي ذر) وفي الموضوع (الصدق) من خلال اللسان الموسوم باللهجة
 في تعبيره ﷺ.

وتصل العلامة السيميائية ذروتها حين يكون تشبيهه الذهني بالمحسوس فتحدث المزاوجة لانتاج دلالات التوحد والاستشعار بالاخوة والمودة كما الجسد الواحد يقول عليه السلام: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى))^(٣٦) فالتعاطف والتراحم صورة ذهنية يعيشها الانسان داخليا في أواصر علاقته مع الاخرين بفارق مستوى تباينها وحضورها في النظر للآخر والجسد تصوير محسوس يراد منه الهياة الظاهرة للعيان اقترنا في تمثيل لطيف يحمل بعدا سيميائيا يدخل في إطار التواد والتراحم الإنساني الذي اريد للبشرية غايته تحريك وعي السامع بذلك الملمح العاطفي الأسر.

وتتمثل العلامة السيميائية أحيانا في وصف قوم من الناس دون تحديد ببعد يرسم افقا عن هؤلاء الموصوفين بأنهم الأفضل في الايمان والاتباع بحيث تغدو تلك العلامات استيضاحا وتنشيطا لخيال يتوق شوقا لرؤيتهم ومعرفتهم يقول: " عليه السلام لعلي عليه السلام: يا علي! واعلم أن أعظم الناس يقينا قوم يكونون في آخر الزمان، لم يلحقوا النبي وحبب عنهم الحجة فآمنوا بسواد في بياض.))^(٣٧) فاهتمام النبي عليه السلام بالوصف الدقيق لهؤلاء وبالشكل الرمزي يبرهن عن طبيعة النموذج الذي يعكس حقيقة من سيؤمن به دون ان يراه. فالإخبار عن المستقبل استشرافا والايمان دون معاصرة له عليه السلام استدعاء لحمولة من الدلالة تحمل عاطفة يشترك فيها الخيال والايمان في إطار من التناسق والجمال.

وفي سياق الاطار الاجتماعي والديني نجد النبي عليه السلام يرسم العلاقة بينه وبين الامام علي عليه السلام في نسق من الدلالة على الحب والالفة حيث يقول: عليه السلام: " هذا خير أهلي، وأقرب الخلق مني، لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وروحه من روحي،

وهو الوزير منّي في حياتي، والخليفة بعد وفاتي، كما كان هارون من موسى، إلا أنه لانيّ بعدي " (٣٨) إذ تتركز العلامات السيميائية في تمثلات تستشعر من العوارض العاطفية الدافعة لهذا القول تبليغاً أو رداً أو إعلاماً لمن شكك في تلك المنزلة . فالتنامي ابتداءً من وصفه بخير الأهل والأقرب إلى التفصيل في سياقات القرب الروحي والجسدي ثم انتقالاً إلى منزلته في الرسالة بأنه الوزير والخليفة يوحى باكتناز عاطفي متدرج له سلم من الأولويات هي في حقيقتها تشكل في النهاية الصورة الانموزج لحقيقة الامام علي عليه السلام في منظر النبي ﷺ الموسوم قرانياً بأنه لا ينطق عن الهوى .

= تعد مقارنة خطاب النبي محمد ﷺ في ضوء السيميائية العاطفية نسقا من القراءة الكاشفة عن عمق خطابه ﷺ وفاعلية تأثيره في المتلقي وتصوراته .

= مثل نص النبي ﷺ مركزية متقدمة في تصدير استمالات يراد منها تحقيق الهدف من خلق الانسان المتكامل في قيمه وسلوكه واعتقاداته او في كلا المنحيين عموديا في علاقته مع ربه او افقيا في علاقته بمن حوله .

= مثل البحث عن تلازمية دالة من التأثير بين الرمزية الخطابية وموضوع العاطفة في مجمل أقواله ﷺ وتعدد حقولها ، مما افرز بالنهاية مساحة من التوالد في الدلالة والمعنى العابرين لحدود الزمن قصدا وتأثيرا .

= افصح البحث عن حقل متعدد من التنوع في السياق الاسلوبي عنده ﷺ فبعض جاء قاصدا لمنظومة القيم وأخرى للسلوك وتارة لتقويم اعتقاد او توجيه وكلها قد اشرها ﷺ بلغة فاعلة عمدت الى إفهام المتلقي وترغيبه في المقصود من الخطاب .

= تنوع المحدد القولي في سيمياء العاطفة من نص الى اخر اعتمادا على قصدية القول ونوع المخاطب في الإجرائية النصية ، اذ وظفت المحددات الصيغية أي الدوال اللفظية في مناسبات قولية متعددة اسفرت بالنهاية عن ملامح تأثيرية واضحة .

= اثبت البحث عن توالد مجموعة من الاليات المقننة في المحدد الثاني المسمى بالتوترات أي العوارض النصية الموافقة لسياق الإنتاج وتوالد الحدث وأدى تأثير ذلك في المخاطب كوصف الذوات والتدرج في القيم والانفتاح على الاطار الديني والاجتماعي .

الهوامش

- (١) تحف العقول في شرح اخبار ال الرسول : ٢٧ / ٣
- (٢) أنظمة العلامات في اللغة والادب والثقافة : ٧٨
- (٣) معجم السيميائيات : ٤٦
- (٤) فن الخطابة : ١٠٣ / ١٠٤
- (٥) سيمياء العواطف في قصيدة اراك عصي الدمع : ١٥
- (٦) سيميائيات الاهواء : ٦٧
- (٧) في ظلال القرآن : ١ / ٤٦٧
- (٨) سيمياء أصولها وقواعدها : ٧٦
- (٩) سيمياء العواطف في قصيدة اراك عصي الدمع : ١٩
- (١٠) بحار الانوار : ٩ / ٤٠
- (١١) التحرير والتنوير : ١ / ٢٨
- (١٢) بحار الانوار : ١٢ / ٢٦
- (١٣) (التحرير والتنوير : ١ / ٢٣٠)
- (١٤) سيميائيات الاهواء : ٧٣
- (١٥) وسائل الشيعة : ٢٠ / ١٦٩
- (١٦) بحار الانوار : ١٤ / ٢٠١
- (١٧) أصول الكافي : ٤ / ٨٠
- (١٨) (في ظلال القرآن : ٧ / ٤٧٠)

- (١٩) بحار الانوار : ٢٦٨ / ١١
- (٢٠) وسائل الشيعة : ٢٦٣ / ٢٧
- (٢١) م.ن : ٢٠٦ / ١٢
- (٢٢) م.ن : ٢٠٧ / ١٢
- (٢٣) بحار الانوار : ٦٣ / ٩
- (٢٤) تحف العقول : ٢٤٧
- (٢٥) م.ن : ١٦٦ / ٢
- (٢٦) (مفردات الفاظ القرآن : ١ / ١٣٠)
- (٢٧) (سيمياء العواطف في قصيدة اراك عصي الدمع : ١٩)
- (٢٨) السيرة النبوية : ابن هشام : ٨٨ / ١
- (٢٩) مجمع البيان : ٢٢٠ / ٣
- (٣٠) الأمثل : ٢٩٣ / ٧
- (٣١) تاريخ دمشق : ٨٠ / ٧٩
- (٣٢) السيرة النبوية لابن كثير : ١ / ٤٩٤
- (٣٣) وسائل الشيعة : ٣٣٢ / ١٥
- (٣٤) السيمياء أصولها وقواعدها : ١١
- (٣٥) وسائل الشيعة : ١٤ / ٥
- (٣٦) صحيح البخاري : ١٠ / ٨
- (٣٧) اكمال الدين واتمام النعمة : ١٢٥
- (٣٨) بحار الانوار : ١٣٢ / ٣٤

مصادر البحث ومراجعته

- الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، دار الطباعة : مؤسسة الأعلمي بيروت - لبنان .
٩. السيرة النبوية ابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الانباري ، عبد الحفيظ شلبي ، مكتبة المصطفى قم ، ط١ ، ١٣٥٥ .
١٠. سيميائيات الاهواء من حالات الأشياء الى حالات النفس ، تأليف الجير داس غريباس و جاك فوتيني ، ترجمة وتقديم وتعليق سعيد بنكراد دار الكتاب الجديدة المتحدة ط١٠ ٢٠١٠ .
- ١١ . سيمياء العواطف في قصيدة اراك عصي الدمع لابي فراس الحمداني ، عمي لينده ، رسالة ماجستير، الجزائر، ٢٠٠٨
١٢. السيمياء أصولها وقواعدها، اريفه ميشال واخرون ، ترجمة رشيد بن مالك منشورات دار الاختلاف الجزائر ١٩٩٠
١٣. صحيح البخاري ، عني به : الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ط٣ ، ٢٠١٤ .
١٤. في ظلال القرآن ، سيد قطب، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٧، ١٤٠٦ .
١٥. مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي، بيروت دار احياء التراث العربي، ١٣٧٩ .
١٦. معجم السيميائيات فيصل الأحمر، : الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف ، تاريخ النشر: ٢٠١٠ .
١٧. مفردات الفاظ القرآن الراغب الاصفهاني ، تحقيق ، صفوان عدنان داوودي ، منشورات طليعة النور ، قم ، ١٤٢٥ .
- القرآن الكريم
١. أصول الكافي : الكليني ، تحقيق ، علي اكبر غفاري ط٣ طهران : منشورات دار الكتب ، ١٩٦٨ .
٢. اكمال الدين وتمام النعمة تأليف: الشيخ الصدوق ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي صححه وقدم له وعلق عليه: الشيخ حسين الاعلمي الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات الطبعة: الاولى ١٩٩١ .
٣. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم شيرازي، بيروت مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٣ .
٤. أنظمة العلامات في اللغة والادب والثقافة مدخل الى السيموطيقيا، سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، دار الياس العصرية ١٩٨٦ .
٥. بحار الانوار، المجلسي، الشيخ محمد باقر (ت١١١١هـ) ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط٢ المصححة .
٦. =تاريخ دمشق ، ابن عساكر، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
٧. التحرير والتنوير، ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ .
٨. تحف العقول عن آل الرسول ﷺ المؤلف :

١٨. وسائل الشيعة ووسائل الشيعة، العالمي،
محمد بن الحسن الحر (ت ١١٠٤هـ)، تح:
مؤسسة آل البيت عليه السلام، لإحياء التراث، بيروت،
لبنان، ط ٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.